

ونلتقي مع جندي آخر لنرى التحول المخيف الذي طرأ على هذه البلاد: «من ناحية ثانية، في مكان ما، نتوقف عن السؤال عن كل شيء. الحد، أو الفاصل، غير محدد. اليوم أنا لا أستطيع أن أقول لك أين حدودي. لماذا؟ لأنني مشبع من التجربة. قبل الجيش كانت لي حدود. اليوم، الحدود غير واضحة، وعندئذٍ، ربما أصل إلى حالة أن أعرف أن هذه، باختصار، هي حالة حرب. انهم يقتلون اناساً. لا امكانية أخرى، يقنعونني، وأنا أقوم بذلك. أنا لا أعرف ما هو الحد. أنت تدركين؟ هذا أوصلني إلى حالة كهذه. انني لا أعرف ما هو الحد» (ص ٥٨).

هذه البلبلية هي التي تسيطر على شهادة هذا الجندي. اختفاء المعالم والحدود والفواصل. اذ لم تعد هنالك حدود متعارف عليها ومتداولة، فكيف يستطيع التمييز بين ما هو انساني أو لانساني؟ السياسة الرسمية هي المسؤولة الاولى، والاخيرة.

ونلتقي مع جندي آخر، ليعترف بوضوح: «من المؤكد ان المستوى في تدهور. لا يوجد شيء يدعو إلى التفاخر. الشعراء لن يستطيعوا كتابة شعر عن الجنود الاسرائيليين الذين حاربوا الانتفاضة، وأطلقوا النار على الاطفال والنساء. كل الاحترام 'لن تكون موجودة» (ص ٧٥).

وقال جندي آخر: «وجهة نظري ان العرب عامة يجب ان يخافوا منّا، لأن هذه هي الطريقة التي نمتلكها ضدّهم. اذن، اجمالاً، من المستحسن ان يكون ثمة خوف عام» (ص ٨٤).

لقد حاولت ضمن هذه الاقتباسات ان اجتزئ بعض المقاطع الانسانية غالباً؛ وتحاشيت قدر الاستطاعة البلبلية. فمعظم الكتاب يحاول ان يرسم صورة للبلبة، وذلك للتدليل على ان الجنود يعانون ويتألمون حقاً، كأنهم لا يملكون خياراً سوى خيار العنف والارهاب. لذا جاءت هذه الشهادات، في غالبيتها العظمى، كعلاج ذاتي لأولئك الذين اضطرت، وتغيّرت، معاييرهم بسبب الانتفاضة.

### أهمية الكتاب

كُتبت محررة سلسلة «بروزا احيرت» (نثر آخر أو مغاير) ايلانه هممران تذييلاً هاماً عن الكتاب وسبب نشره. وعُدّت أسباب نشره في سلسلتها. احد أهم هذه الأسباب هو الظرف، أو الوضع، الذي يفرض نوعاً أدبياً خاصاً على الادب، كالانتفاضة. فحسب هممران لا يستطيع الكاتب ان يلتقط بعض التفاصيل الواقعية في حالة الانتفاضة ويبني عليها عالماً خيالياً، ما دامت الانتفاضة هي الحدث الاكبر. فالمادة الوثائقية هي الاصلح، والابقى. واستشهدت برأي الفالتر بنيامين الذي كتب عن تحولات الفنون في عالم الراديو والتلفزيون والصحيفة، او العالم الصناعي عامة.

كل هذا كان من الممكن دفعه جانباً وعدم مناقشته. لكن الادب العبري في غالبيته ينأى عن الارتباط الاوتوماتيكي بالحدث، ويبحث، دائماً، عن بدائل فنية، إلى درجة يبدو معها هذا الكتاب مفبركاً للغاية. فالاستجابة الاوتوماتيكية للحدث قد تنتج أدباً ممتازاً وقد تفعل العكس أيضاً، لذا نرى ان هممران قامت بعملية محاسبية لما قامت به في هذا الكتاب، لئلا يقال انها تسرعت باصدار كتاب كهذا. لكن الكتاب يظل بمثابة حافز لاستثارة الفنانين والكتاب اليهود لينزلوا إلى الشارع وليقطعوا أدبهم باحداث هامة قد تزلزل بروجهم العاجية وأدبهم.

أهمية الكتاب، بالدرجة الاولى، تنبع من انه صادر عن سلسلة أدبية معتبرة جداً، وهو، في الوقت عينه، شهادات أشبه بكولاج، سعت إلى تصوير واقع معين، دون السعي إلى خيال مفتعل. فلا حاجة إلى خيال عظيم في حال كحال الانتفاضة. فأحداث الانتفاضة اليومية تملئ تفاصيلها على الاديب والفنان والشاعر، دون اللجوء إلى المصطنع والزائف والمفبرك. بالانتفاضة يتوّج مسار جديد في الادب العبري: ضرورة التوثيق ومعايشة الاحداث، بعيداً من خيالات الابراج العاجية.

ففي الكتاب قرأنا عن ١٢ جندياً قدّموا تجربتهم التي لا تحتاج إلى خيال، بشكل منولوجات. ورولي